صحيفة الواقع الجهادية
شهرية
العدد ٥٠ ... ذو القعدة ١٤٣٤ هـ
إعداد إخوانكم ... بصحيفة الواقع الجهادية







عمر المختار



السيّد عُمر بن مختار بن عُمر المنفي الهلالي (20 أغسطس 1861 - 16 سبتمبر 1931)، الشهير بعمر المُختار، المُلقب بشيخ الشهداء، وشيخ المجاهدين، وأسد الصحراء، هو قائد أدوار السنوسية في ليبيا، وأحد أشهر المقاومين العرب والمسلمين. ينتمي إلى بيت فرحات من قبيلة منفة الهلالية التي تنتقل في بادية برقة.

مُقاوم ليبي حارب قوات الغزو الإيطالية منذ دخولها أرض ليبيا إلى عام 1931. حارب الإيطاليين وهو يبلغ من العمر 53 عامًا لأكثر من عشرين عامًا في عدد كبير من المعارك، إلى أن قُبض عليه من قِبل الجنود الإيطاليين وأجريت له محاكمة صوريّة انتهت بإصدار حكم بإعدامه شنقًا، فنُفذت فيه العقوبة على الرغم من أنه كان كبيرًا عليلًا، فقد بلغ في حينها 73 عامًا وعانى من الحمّى. وكان الهدف من إعدام عمر المُختار إضعاف الروح المعنويّة للمقاومين الليبيين والقضاء على الحركات المناهضة للحكم الإيطالي، لكن النتيجة جاءت عكسيّة، فقد ارتفعت حدّة الثورات، وانتهى الأمر بأن طُرد الطليان من البلاد.

حصد عمر المُختار إعجاب وتعاطف الكثير من الناس أثناء حياته، وأشخاص أكثر بعد إعدامه، فأخبار الشيخ الطاعن في السن الذي يُقاتل في سبيل بلاده ودينه استقطبت انتباه الكثير من المسلمين والعرب الذين كانوا يعانون من نير الاستعمار الأوروبي في حينها، وحثت المقاومين على التحرّك، وبعد وفاته حصدت صورته وهو مُعلّق على حبل المشنقة تعاطف أشخاص أكثر، من العالمين الشرقي والغربي على حد سواء، فكبر المختار في أذهان الناس وأصبح بطلًا شهيدًا.

نشأته

وُلد عمر المختار في البطنان ببرقة في الجبل الأخضر عام 1862، وقيل عام 1858، وكفله أبوه وعني بتربيته تربيةً إسلاميّة حميدة مستمدة من تعاليم الحركة السنوسية القائمة على القرآن والسنّة النبويّة. ولم يُعايش عمر المختار والده طويلًا، إذ حدث أن توفي والده وهو في طريقه إلى مدينة مكّة لأداء فريضة الحج، فعهد وهو في حالة المرض إلى رفيقه أحمد الغرياني (شقيق شيخ زاوية جنزور) بأن يُبلّغ شقيقه بأنّه عهد إليه بتربية ولديه عمر ومحمد. وبعد عودة أحمد الغرياني من الحج، توجه فوراً إلى شقيقه الشيخ حسين وأخبره بما حصل وبرغبة مختار بن عمر أن يتولّى شؤون ولديه، فوافق من غير تردد، وتولى رعايتهما محققاً رغبة والدهما، فأدخلهما مدرسة القرآن الكريم بالزاوية، ثم ألحق عمر المختار بالمعهد الجغبوبي لينضم إلى طلبة العلم من أبناء الأخوان والقبائل الأخرى.

حصد عمر المختار انتباه شيوخه في صباه، فهو اليتيم اليافع، الذي شجّع القرآن الناس وحثهم على العطف على أمثاله كي تُخفف عنهم مرارة العيش، كما أظهر ذكاءًا واضحًا، مما جعل شيوخه يهتمون به في معهد الجغبوب الذي كان منارة للعلم، وملتقى للعلماء والفقهاء والأدباء والمربين، الذين كانوا يشرفون على تربية وتعليم وإعداد المتفوقين من أبناء المسلمين ليعدّوهم لحمل رسالة الإسلام، ثم يرسلوهم بعد سنين عديدة من العلم والتلقي والتربية إلى مواطن القبائل في ليبيا وإفريقيا لتعليم الناس وتربيتهم على مبادئ الإسلام وتعاليمه. مكث عمر المختار في معهد الجغبوب ثمانية أعوام ينهل من العلوم الشرعية المتنوعة كالفقه والحديث والتفسير، ومن أشهر شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم: السيّد الزروالي المغربي، والسيّد الجوّاني، والعلّامة فالح بن محمد بن عبد الله الظاهري المدني، وغيرهم كثير، وشهدوا له بالنباهة ورجاحة العقل، ومتانة الخلق، وحب الدعوة، وكان يقوم بما عليه من واجبات عمليّة أسوة بزملائه الذين يؤدون أعمالًا مماثلة في ساعات معينة إلى جانب طلب العلم، وكان مخلصًا في عمله متفانيًا في أداء ما عليه، ولم يعرف عنه زملاؤه أنه أجّل عمل يومه إلى غده.

وهكذا اشتهر بالجدية والحزم والاستقامة والصبر، ولفتت شمائله أنظار أساتذته وزملائه وهو لم يزل يافعاً، وكان الأساتذة يبلغون الإمام محمد المهدي أخبار الطلبة وأخلاق كل واحد منهم، فأكبر الأخير في عمر المختار صفاته وما يتحلى به من أخلاق عالية. ومع مرور الزمن وبعد أن بلغ عمر المختار أشدّه، اكتسب من العلوم الدينية الشيء الكثير ومن العلوم الدنيويّة ما تيسّر له، فأصبح على إلمام واسع بشئون البيئة التي تحيط به وعلى جانب كبير في الإدراك بأحوال الوسط الذي يعيش فيه وعلى معرفة واسعة بالأحداث القبلية وتاريخ وقائعها، وتوسّع في معرفة الأنساب والارتباطات التي تصل هذه القبائل بعضها ببعض، وبتقاليدها، وعاداتها، ومواقعها، وتعلّم من بيئته التي نشأ فيها

وسائل فض الخصومات البدوية ومايتطلبه الموقف من آراء ونظريات، كما أنه أصبح خبيراً بمسالك الصحراء وبالطرق التي كان يجتازها من برقة إلى مصر والسودان في الخارج وإلى الجغبوب والكفرة من الداخل، وكان يعرف أنواع النباتات وخصائصها على مختلف أنواعها في برقة، وكان على دراية بالأدواء التي تصيب الماشية ببرقة ومعرفة بطرق علاجها نتيجة للتجارب المتوارثة عند البدو وهي اختبارات مكتسبة عن طريق التجربة الطويلة، والملاحظة الدقيقة، وكان يعرف سمة كل قبيلة، وهي السمات التي توضع على الإبل والأغنام والأبقار لوضوح ملكيتها لأصحابها.

وجد عمر المُختار نفسه قد تحوّل من مُعلّم للقرآن إلى مُجاهد يُقاتل في سبيل بلاده ودينه لدفع الاحتلال عنها. وكان قد اكتسب خبرة كبيرة في أساليب وتكتيكات الحروب الصحراويّة أثناء قتاله الفرنسيين في تشاد، وكان له معرفة سابقة بجغرافيّة الصحراء وبدروبها ومسالكها وكل ما يتعلّق بها، فاستغل هذه المعرفة وتلك الخبرة ليحصل على الأفضليّة دومًا عند مجابهته الجنود الإيطاليون غير العارفين بحروب الصحراء وغير المعتادين على قيظها وجفافها. أخذ المختار يقود رجاله في حملاتٍ سريعة على الكتائب العسكرية الإيطاليّة، فيضربوهم ضرباتٍ موجعة ثمّ ينسحبون بسرعة إلى قلب الصحراء. عمل المجاهدون الليبيّون على مهاجمة الثكنات العسكريّة الواقعة على أطراف الصحراء، وإيقاع الرتل وراء الرتل في كمين، وقطع طرق المواصلات والإمدادات على الجيش الإيطالي، وقد أصابت هذه الهجومات المسؤولين العسكريين الإيطاليين بالذهول في غير مرّة، وأحرج الجيش الإيطالي أمام الرأي العام في بلاده بعد أن لم يتمكن من إخماد حركة بعض الثوّار البدو غير المدربين عسكريًا.

سافر عمر المختار في شهر مارس سنة 1923 إلى مصر بصحبة علي باشا العبيدي ليعرض على الأمير محمد إدريس نتيجة عمله ويتلقى منه التوجيهات اللازمة. واستطاع اجتياز الحدود المصرية وتمكن من مقابلة الأمير إدريس بمصر الجديدة. وفي مصر جاءته جماعة من قبيلة المنفة وهي قبيلته التي ينتمي إليها، وكانوا قد أقاموا بمصر، لغرض الترحيب به، فاستفسر المختار قبل أن يأذن لهم بذلك عما أذا كانوا قد سعوا لمقابلة الأمير عند حضوره إلى مصر، فلما أجاب هؤلاء بالنفي معتذرين بأن أسبابًا عائليّة قهرية منعتهم من تأدية هذا الواجب رفض المختار مقابلتهم وقال أنّه لن يُقابل أناسٌ تركوا شيخه الذي هو ولي نعمته وسبب خيره، وهددهم بالقطيعة. فما إن بلغ الأمير إدريس مافعله عمر المختار مع من جاء إليه من أبناء قبيلته حتى أصدر امره بمقابلتهم فامتثل المختار لأمره. حاولت إيطاليا بواسطة عملائها بمصر الاتصال بعمر المختار وعرضت عليه بأنها سوف تقدم له مساعدة إذا ما تعهد باتخاذ سكنه في مدينة بنغازي أو المرج، وملازمة بيته تحت رعاية وعطف إيطاليا، وأن حكومة روما مستعدة بأن تجعل من عمر المختار الشخصية الأولى في ليبيا كلها وتتلاشى أمامه جميع الشخصيات الكبيرة التي تتمتع بمكانتها عند إيطاليا في طرابلس الغرب وبنغازي، وإذا ما أراد البقاء في مصر فما عليه إلا أن يتعهد بأن يكون لاجئًا ويقطع علاقته بإدريس السنوسي، وفي هذه الحالة تتعهد حكومة روما بان توفر له راتبًا ضخمًا يمكنّه من حياة رغدة، وهي على استعداد أن يكون الاتفاق بصورة سرية وتوفير الضمانات لعمر المختار ويتم كل شيء بدون ضجيج تطمينًا لعمر المختار وقد طلبت منه نصح الأهالي بالإقلاع عن فكرة القيام في وجه إيطاليا. وقد كرر الإيطاليون عرضهم على عمر المختار عدّة مرّات حتى بعد خروجه من مصر وعودته إلى برقة لكنه كان يرفض في كل مرة ويُصرّ على الجهاد وقتال المحتل الأجنبي. كان المختار قد اتفق مع الأمير إدريس أثناء وجوده في مصر على تفاصيل الخطة التي يجب أن يتبعها المجاهدون في قتالهم الطليان على أساس تشكيل المعسكرات، واختيار القيادة الصالحة لهذه الأدوار، وأن تظل القيادة العليا من نصيب عمر المختار نفسه، وزوده الأمير بكتاب يتضمّن هذا المعنى، وتمّ الاتفاق على بقاء الأمير في مصر ليقود العمل السياسي، ويهتم بأمر المهاجرين ويضغط على الحكومة المصريّة والبريطانيّة بالسماح للمجاهدين بالالتجاء إلى مصر، ويشرف على إمداد المجاهدين بكل المساعدات الممكنة من مصر، ويرسل الإرشادات والتعليمات اللازمة إلى عمر المختار في الجبل، واتُفق على أن يكون الحاج التواتي البرعصي حلقة الوصل بين الأمير وقائد الجهاد، وبعد ذلك الاتفاق غادر عمر المختار القاهرة إلى السلّوم فبرقة.

في عام 1923 وبعد أن عاشت مستعمرة ليبيا الإيطالية لعدّة سنواتٍ في هدوء نسبيّ مع ضعف في سيطرة الطليان، قرّرت الحكومة الإيطالية تغيير سياستها اتّجاه ليبيا جذرياً، فقرّرت قلب سياستها مع الحركة السنوسيةِ من الحوار والتفاهم إلى الحرب والإخضاع بالقوة، وألغت جميع الاتفاقيات السابقة التي كانت قد أبرمتها مع الليبيّين وبدأت هجوماً شاملاً على معاقل الجهاد، ممّا أدى إلى تفجُّر حرب عنيفة في أنحاء الجبل الأخضر بعد هدوءٍ كان قد دام لعدّة سنوات. واستمرّت الحرب في الأعوام التالية، لتزداد شدة وعنفاً عاماً بعد عام.

شهدت الفترة الممتدة بين عاميّ 1924 و1925 مناوشات عديدة ومعارك دامية بين الثوّار والقوّات الإيطاليّة، ووسّع المجاهدون نشاطهم العسكري في الجبل الأخضر ولمع اسم عمر المختار كقائدٍ بارع يُتقن أساليب الكر والفر ويتمتع بنفوذ عظيم بين القبائل.

وقد قام عمر المختار بتأسيس معسكرٍ للمجاهدين في الجبل الأخضر، وأصبح يتولّى بنفسه إدارته والإشراف على تدريب المقاتلين وتنظيم هجماتهم. ثم اتّخذ لاحقاً منطقة شحاتَ قاعدة عسكرية له ولرجاله.

اعتقال المختار

في شهر أكتوبر سنة 1930 تمكن الطليان من الاشتباك مع المجاهدين في معركة كبيرة عثر الطليان عقب انتهائها على نظّارات عمر المختار، كما عثروا على جواده ؛ فثبت لهم أن المختار ما زال على قيد الحياة، وأصدر غراتسياني منشورًا ضمنه هذا الحادث حاول فيه أن يقضي على "أسطورة المختار الذي لايقهر أبدًا" وقال متوعدًا: «لقد أخذنا اليوم نظارات المختار وغدًا نأتي برأسه».

وفي 11 سبتمبر من عام 1931 توجّه عمر المختار بصحبة عدد صغير من رفاقه، لزيارة ضريح الصحابي رويفع بن ثابت بمدينة البيضاء. وكان أن شاهدتهم وحدة استطلاع إيطاليّة، وأبلغت حامية قرية اسلنطة التي أبرقت إلى قيادة الجبل باللاسلكي، فحرّكت فصائل من الليبيين والإرتريين لمطاردتهم. وإثر اشتباك في أحد الوديان قرب عين اللفو، جرح حصان عمر المختار فسقط إلى الأرض. وتعرّف عليه في الحال أحد الجنود المرتزقة الليبيين فيقول المجاهد التواتي عبد الجليل المنفي، الذي كان شاهدًا على اللحظة التي أُسر فيها عمر المختار من قبل الجيش الإيطالي: «كنّا غرب منطقة سلنطة... هاجمنا الأعداء الخيّالة وقُتل حصان سيدي عمر المختار، فقدّم له ابن اخيه المجاهد حمد محمد المختار حصانه وعندما همّ بركوبه قُتل أيضًا وهجم الأعداء عليه.. ورآه أحد المجندين العرب وهو مجاهد سابق له دوره. ذُهل واختلط عليه الأمر وعزّ عليه أن يُقبض على عمر المختار فقال: "يا سيدي عمر.. يا سيدي عمر!!" فعرفه الأعداء وقبضوا عليه. وردّ عمر المختار على العميل العربي الذي ذكر اسمه بقوله: "عطك الشر وابليك بالزر".

عندما وصل الأسير إلى بنغازي، لم يُسمح لأي مراسل جريدة أو مجلّة بنشر أي أخبار أو مقابلات، وكان على الرصيف مئات من المشاهدين عند نزوله في الميناء ولم يتمكن أي شخص مهما كان مركزه أن يقترب من الموكب المُحاط بالجنود المدججين بالسلاح. ونُقل المختار فوق سيّارة السجن تصحبه قوّة مسلّحة بالمدافع الرشّاشة حيث أودع في زنزانة صغيرة خاصة منعزلة عن كافة السجناء السياسيين وتحت حراسة شديدة، وكان يتم تغيير الحرّاس كل فترة. ويقول مترجم كتاب "برقة الهادئة" الأستاذ إبراهيم سالم عامر أنّ زنزانة عمر المختار كانت تحوي سريرًا من خشب وقماش وعلى أرضيّتها قطعة من السجّاد البالي. يُضيف أنّ المختار كان يجلس عليها ويُسند ظهره على الجدران ويمد رجليه إلى الأمام حتى يُريحهما.

لم يصدق وزير المستعمرات الخبر في البداية. وغراتسياني الذي كان متوجهًا إلى باريس نزل من قطاره ليعود مسرعًا إلى بنغازي. ثم انقلبت دهشتهم إلى فرح هستيري، والإصرار على "محاكمة فوريّة والإعدام بصورة صاخبة ومُثيرة" كما جاء في برقيّة دى بونو وزير المستعمرات إلى بادوليو حاكم ليبيا. لكن ما فاجأ الطليان كان هدوء الأسير وصراحته المُذهلة في الرد على أسئلة المُحققين، بثباتٍ تام ودون مراوغة، إذ قال لهم: «نعم قاتلت ضد الحكومة الإيطاليّة، لم أستسلم قط. لم تخطر ببالي قط فكرة الهرب عبر الحدود. منذ عشر سنوات تقريبًا وأنا رئيس المحافظية. اشتركت في معارك كثيرة لا أستطيع تحديدها. لا فائدة من سؤالي عن وقائع منفردة. وما وقع ضد إيطاليا والطليان، منذ عشر سنوات وحتى الآن كان بإرادتي وإذني. كانت الغارات تُنفّذ بأمري، وبعضها قمت به أنا بنفسي. الحرب هى الحرب. أعترف بأنه قُبض عليّ والسلاح بيدي، أمام الزاوية البيضاء، في غوط اللفو، هل تتصورون أن أبقى واقفًا دون إطلاق النار أثناء القتال؟ ولا أشعر بالندم عمّا قمت به».

وصل غراتسياني إلى بنغازي يوم 14 سبتمبر، وأعلن عن انعقاد "المحكمة الخاصة" يوم 15 سبتمبر 1931، وفي صبيحة ذلك اليوم وقبل المحاكمة رغب غراتسياني في الحديث مع عمر المختار. يذكر غراتسياني في مذكراته: «وعندما حضر أمام مكتبي تهيّأ لي أن أرى فيه شخصية آلاف المُرابطين الذين التقيت بِهم أثناء قيامي بالحروب الصحراويّة. يداه مُكبلتان بالسلاسل، رغم الكسور والجروح التي أُصيب بها أثناء المعركة، وكان وجهه مضغوطًا لأنه كان مُغطيًا رأسه بالجَرِدْ ويجرّ نفسه بصعوبة نظرًا لتعبه أثناء السفر بالبحر، وبالإجمال يُخيل لي أنّ الذي يقف أمامي رجلٌ ليس كالرجال: له منظره وهيبته رغم أنّه يشعر بمرارة الأسر، ها هو واقفٌ أمام مكتبي نسأله ويجيب بصوتٍ هادئ وواضح».

غراتسياني: لماذا حاربت بشدّة متواصلة الحكومة الفاشيّة؟

أجاب المختار: من أجل ديني ووطني.

غراتسياني: ما الذي كان في اعتقادك الوصول إليه؟

فأجاب المختار: لا شيء إلّا طردكم ... لأنكم مغتصبون، أما الحرب فهي فرضٌ علينا وما النصر إلا من عند الله.

غراتسياني: لما لك من نفوذ وجاه، في كم يوم يمكنك إن تأمر الثوار بأن يخضعوا لحكمنا ويسلموا أسلحتهم؟

فأجاب المختار: لا يُمكنني أن أعمل أي شيء ... وبدون جدوى نحن الثوار سبق أن أقسمنا أن نموت كلّنا الواحد بعد الأخر، ولا نسلّم أو نُلقي السلاح.

ويستطرد غراتسياني حديثه: «عندما وقف ليتهيأ للانصراف، كان جبينه وضاء كأنّ هالة من نور تُحيط به، فارتعش قلبي من جلالة الموقف، أنا الذي خاض المعارك والحروب العالميّة، والصحراويّة، ولُقبت بأسد الصحراء، ورُغم هذا فقط كانت شفتاي ترتعشان ولم أستطع أن أنبس بحرفٍ واحد، فانتهت المُقابلة وأمرت بإرجاعه إلى السجن لتقديمه للمُحاكمة في المساء، وعند وقوفه حاول أن يمد يده لمُصافحتي ولكنّه لم يتمكن لأن يديه كانت مُكبلة بالحديد. لقد خرج من مكتبي كما دخل عليّ وأنا أنظر إليه بكل إعجاب وتقدير».

في الساعة الخامسة مساءً في 15 سبتمبر 1931 جرت محاكمة عمر المختار التي أعد لها الطليان مكان بناء برلمان برقة القديم، وكانت محاكمة صورية شكلًا وموضوعًا، إذ كان الطليان قد أعدوا المشنقة وانتهوا من ترتيبات الإعدام قبل بدء المحاكمة وصدور الحكم على المختار، ويبدو ذلك جليًا من خلال حديث غراتسياني مع المختار خلال مقابلتهما، حين قال له: «إني لأرجو أن تظل شجاعًا مهما حدث لك أو نزل بك»، فأجابه المختار: «إن شاء الله».

جيء بعمر المختار إلى قاعة الجلسة مكبلًا بالحديد، وحوله الحرس من كل جانب، وأُحضر أحد التراجمة الرسميين ليتولّى الترجمة للمختار وللقضاة، فلمّا افتتحت الجلسة وبدأ استجواب المختار، بلغ التأثر بالترجمان، حدًا جعله لايستطيع إخفاء تأثره وظهر عليه الارتباك، فأمر رئيس المحكمة باستبعاده وإحضار ترجمان آخر فوقع الاختيار على أحد اليهود من بين الحاضرين في الجلسة، فقام بدور المترجم، وكان عمر المختار جريئًا صريحًا، يصحح للمحكمة بعض الوقائع، خصوصًا حادث الطيارين الإيطاليين أوبر وبياتي، الذين أسرهما المجاهدون قبل ذلك. وبعد استجواب المختار ومناقشته، وقف المدعي العام بيدندو، فطلب الحكم على عمر المختار بالإعدام. وكان لحضور المختار في المحكمة أمام خصومة أثرٌ في نفوسهم، فرؤية شيخ طاعن في السن مُكبّل بالسلاسل، صريحٌ وشجاع عندما يتكلم، كان لها وقعٌ على الكثير من الحاضرين، ولعلّ أبرز ما يُظهر ذلك هو أنه عندما جاء دور المحامي المعهود إليه بالدفاع عن المختار، وكان ضابطًا إيطاليًا شابًا من رتبة نقيب يُدعى روبرتو لونتانو، حاول أن يُبقي على حياة المختار، فطالب بالحكم عليه بالسجن المؤبّد نظرًا لشيخوخته وكِبر سنّه، متحججًا بأنّ هذا عقاب أشد قساوةً من الإعدام. غير أنّ المدعي العام، تدخل وقطع الحديث على المحامي وطلب من رئيس المحكمة أن يمنعه من إتمام مرافعته مستندًا في طلبه هذا إلا أنّ الدفاع خرج عن الموضوع، وليس من حقه أن يتكلم عن كبر سن عمر المختار وشيخوخته ووافقت المحكمة. عندئذٍ وقف المحامي وقال: «إنّ هذا المُتهم الذي انتدبت للدفاع عنه: إنما يُدافع عن حقيقة كلّنا نعرفها، وهي الوطن الذي طالما ضحينا نحن في سبيل تحريره، إنّ هذا الرجل هو ابن لهذه الأرض قبل أن تطأها أقدامكم، وهو يعتبر كل من احتلها عنوة عدوًا له، ومن حقه أن يُقاومه بكل ما يملك من قوّة، حتى يُخرجه منها أو يهلك دونها، إن هذا حق منحته إياه الطبيعة والإنسانية.. إنّ العدالة الحقة لا تخضع للغوغاء وإني آمل أن تحذروا حكم التاريخ، فهو لا يرحم، إنّ عجلته تدور وتسجّل ما يحدث في هذا العالم المضطرب». وهنا كثر الضجيج ضدّ المحامي ودفاعه، لكنه استمر بالكلام والدفاع عن المختار، فقام النائب العام ليحتج، فقاطعه القاضي برفع الجلسة للمداولة، وبعد مضي فترة قصيرة من الانتظار دخل القاضي والمستشاران والمدعي العام بينما المحامي لم يحضر لتلاوة الحكم القاضي بإعدام عمر المختار شنقًا حتى الموت، وعندما تُرجم الحكم إلى عمر المختار اكتفى بالقول: «إنّ الحكم إلّا لله.. لا لحكمكم المُزيّف.. إنّا لله وإنّا إليه راجعون».

في صباح اليوم التالي للمحاكمة، أي الأربعاء في 16 سبتمبر 1931، اتُخذت جميع التدابير اللازمة بمركز سلوق لتنفيذ الحكم بإحضار جميع أقسام الجيش والميليشيا والطيران، وأُحضر 20 ألف من الأهالي وجميع المُعتقلين السياسيين خصيصًا من أماكن مختلفة لمشاهدة تنفيذ الحكم في قائدهم. وأُحضر المُختار مُكبّل الأيادي وفي تمام الساعة التاسعة صباحًا سُلّم إلى الجلّاد، وبمجرد وصوله إلى موقع المشنقة أخذت الطائرات تحلق في الفضاء فوق ساحة الإعدام على انخفاض، وبصوت مدوّي لمنع الأهالي من الاستماع إلى عمر المختار إذا تحدث إليهم أو قال كلامًا يسمعونه، لكنه لم ينبس بكلمة، وسار إلى منصة الإعدام وهو ينطق الشهادتين، وقيل عن بعض الناس الذين كان على مقربة منه انه كان يأذن في صوت خافت آذان الصلاة عندما صعد إلى الحبل، والبعض قال أنه تمتم بالآية القرآنية: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ، وبعد دقائق كان قد عُلّق على المشنقة وفارق الحياة.

أصبح المختار عند العرب عمومًا والمسلمين منهم خصوصًا شهيدًا بطلًا، ومثال القائد الصالح صاحب العقيدة السليمة السويّة، الذي بذل نفسه وماله للدفاع عن دينه وبلده ضدّ عدو عنصري لا يعرف الشفقة. كما أصبحت إحدى جملاته الأخيرة: «نحن لا نستسلم... ننتصر أو نموت.... وهذه ليست النهاية... بل سيكون عليكم أن تحاربوا الجيل القادم والأجيال التي تليه... أمّا أنا... فإن عمري سيكون أطول من عمر شانقي».

أصبح المختار أحد أهم وأشهر أعلام ليبيا، إن لم يكن أشهرهم، طيلة العقود التي تلت إعدامه، وحصد حب واحترام وتقدير الليبيين من جميع الأجيال، وقد ظهر ذلك بالأخص يوم الخميس 16 سبتمبر سنة 2010، الذي صادف الذكرى التاسعة والسبعين لإعدامه، إذ توقفت الحركة كليًا في كافة أنحاء ليبيا في منتصف اليوم، ولمدة خمس دقائق، حدادًا، وكانت اللجنة الشعبيّة العامّة الليبيّة أصدرت قرارًا بشأن اعتبار السادس عشر من سبتمبر الذي يحيي فيه الشعب الليبي الذكرى التاسعة والسبعين لإعدام المختار يومًا للحداد الرسمي في ليبيا. وقد خرجت المظاهرات والمسيرات الاحتجاجية تنديداً بالإعدام في مختلف الدول العربية، مثل تونس ومصر وفلسطين ولبنان وسوريا. كما وقد أقيمت المآتم له في مختلف أنحاء بلاد الشام، وصلّيت عليه صلاة الغائب في جامع بني أمية الكبير بدمشق، ودعي على المنابر إلى مقاطعة إيطاليا وكافة بضائعها وأغلقت المحالّ حداداً عليه. وفي غزة، أطلقت البلدية على أحد أهمّ شوارع المنطقة اسم "شارع عمر المختار"، ممّا أثار غضب وسخط القنصل الإيطالي، وبعث عليه رسالة احتجاجة إلى البلدية، إلا إن رئيس البلدية رفض الاستجابة إلى مطلب القنصل. أقيمت صلاة الغائب على روح عمر المختار في تونس هي الأخرى، وفي مصر كانت ردة الفعل شعبية عارمة تجلّت في الصحف والجمعيات والطلاب والشعراء، وأقام له حمد الباسل باشا حفل تأبين عظيم منعته الحكومة لأسباب سياسية، ولكن أعدّت له خطب وكلمات كثيرة، وأعد له أحمد شوقي وخليل مطران قصائد شعرية خاصة ترثى عمر المختار.



يظهر المختار على العملة الورقيّة الليبيّة من فئة عشرة دنانير.





خولة بنت الأزور

خولة بنت الأزور امرأة ليست ككل النساء، تميزت عنهن بالكثير من الصفات والمواصفات، تربت في البادية العربية مع أبناء قبيلتها بني أسد، ولازمت أخاها ضرارا، فكانا دوما معا، ودخلت الإسلام مع من دخل من أبناء العروبة في ذلك الزمن الأول للإسلام، وشاء الله أن تكون وأخوها ضرار مع الكتائب الطلائعية المتقدمة للجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الحق والدين...فشاركت بكل قوة وببسالة نادرة بين الرجال وبين النساء وعلى مر العصور في الكر والفر، في حمل الرماح ورمي السهام، وضربت بالحسام خاصة عندما وقع أخوها ضرار في الأسر بعد أن أبلى بلاء منقطع النظير.

خولة بنت الأزور مضت في زمن قديم لنا، تستحق منا نظرة دراسة، نظرة مراجعة ، نظرة إعزاز وإكبار وتعظيم... إنها قدوة لبنات العرب والمسلمين في زماننا وعلى مر العصور، قدوة للرجال وقدوة للنساء صغارا وكبارا، قدوة في الشجاعة والبسالة وفي التعاون والتآزر مع الأهل والأخوة.

إن ما عرض عنها هو أهم ما ذكرته المراجع المتوفرة، وهو نزر يسير، رويت فيه بعض أشعارها وأخبارها بعدما كبرت واشتهرت، والسبب معروف... فهي بنت من البادية العربية التي لم تعرف الكتابة ولا التدوين في أيامها الأولى، لذا قل التنوع والتنويع لدى الكتاب والباحثين القدامى والمحدثين عنها وعن غيرها. إنها نموذج رائع للنساء المسلمات تستحق منا الإكبار وتستحق منا الدراسة.

من مواقفها الجهادية:

أجنادين:

وهي قرية تقع شرقي القدس في فلسطين، وفيها أن خالد بن الوليد نظر إلى فارس طويل، وهو لا يبين منه إلا الحدق والفروسية، تلوح من شمائله، وعليه ثياب سود وقد تظاهر بها من فوق لامته، وقد حزم وسطه بعمامة خضراء وسحبها على صدره، وقد سبق أمام الناس كأنه نار. فقال خالد: ليت شعري من هذا الفارس؟ وأيم الله إنه لفارس شجاع. ثم لحقه والناس وكان هذا الفارس أسبق إلى المشركين. فحمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة، فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم ثم غاب في وسطهم فما كانت إلا جولة الجائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء من الروم وقد قتل رجالا وجندل أبطالا وقد عرض نفسه للهلاك ثم اخترق القوم غير مكترث بهم ولا خائف وعطف على كراديس الروم.

فقلق عليه المسلمون وقال رافع بن عميرة: ليس هذا الفارس إلا خالد بن الوليد، ثم أشرف عليهم خالد، فقال رافع: من الفارس الذي تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته؟ فقال خالد: والله أنني أشد إنكارا منكم له، ولقد أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله، فقال رافع: أيها الأمير إنه منغمس في عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا، فقال خالد: معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله، فأطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة والتصق بعضهم ببعض وخالد أمامهم ونظر إلى الفارس فوجده كأنه شعلة من نار والخيل في إثره، وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل فحمل خالد ومن معه، ووصل الفارس المذكور إلى جيش المسلمين، فتأملوه فرأوه وقد تخضب بالدماء، فصاح خالد والمسلمون: لله درك من فارس .. بذل مهجته في سبيل الله وأظهر شجاعته على الأعداء .. اكشف لنا عن لثامك، فمال عنهم ولم يخاطبهم وانغمس في الروم، فتصايحت به الروم من كل جانب وكذلك المسلمون وقالوا: أيها الرجل الكريم أميرك يخاطبك وأنت تعرض عنه، اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيما. فلم يرد عليهم جوابا ، فلما بعد عن خالد سار إليه بنفسه وقال له: ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك، من أنت؟

فلما ألح خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث وقال: إنني يا أمير لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور، فقال لها: من أنت؟ فقالت: خولة بنت الأزور وإني كنت مع بنات العرب وقد أتاني الساعي بأن ضرارا أسير فركبت وفعلت ما فعلت، قال خالد: نحمل بأجمعنا ونرجو من الله أن نصل إلى أخيك فنفكه.

قال عامر بن الطفيل: كنت عن يمين خالد بن الوليد حين حملوا وحملت خولة أمامه وحمل المسلمون وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الأزور، وقالوا: إن كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم طاقة.

وجعلت خولة تجول يمينا وشمالا وهي لا تطلب إلا أخاها وهي لا ترى له أثرا، ولا وقفت له على خبر إلى وقت الظهر. وافترق القوم بعضهم عن بعض وقد أظهر الله المسلمين على أعدائهم وقتلوا منهم عددا عظيما.

أسر خولة مع النساء:

ومن مواقفها الرائعة موقفها يوم أسر النساء في موقعة صحورا(بالقرب من مدينة حمص السورية). فقد وقفت فيهن، وكانت قد أسرت معهن، فأخذت تثير نخوتهن، وتضرم نار الحمية في قلوبهن، ولم يكن من السلاح شيء معهن. فقالت: خذن أعمدة الخيام، وأوتاد الأطناب، ونحمل على هؤلاء اللئام، فلعل الله ينصرنا عليهم، فقالت عفراء بنت عفار: والله ما دعوت إلا إلى ما هو أحب إلينا مما ذكرت. ثم تناولت كل واحدة منهن عمودا من عمد الخيام، وصحن صيحة واحدة. وألقت خولة على عاتقها عمودها، وتتابعن وراءها، فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكن عن بعض ومن كالحلقة الدائرة. ولا تتفرقن فتملكن، فيقع بكن التشتيت، واحطمن رماح القوم، واكسرن سيوفهم. وهجمت خولة وهجمت النساء من ورائها، وقاتلت بهن قتال المستيئس المستميت، حتى استنقذتهن من أيدي الروم، وخرجت وهي تقول:

نحن بنات تبع وحمير وضربنا في القوم ليس ينكر

لأننا في الحرب نار تستعر اليوم تسقون العذاب الأكبر

الخاتمة:

في هذه السيرة البطولية عرضت نماذج مشهورة ومذكورة في الكتب عن خولة بنت الأزور وكيف شاركت في المعارك الإسلامية الكبيرة في فتوح بلاد الشام. والحقيقة تقال أن المعلومات المتوفرة عنها قليلة، ولعل السبب واضح، حيث عاشت مثل غيرها من بنات البادية العربية عيشة متواضعة وبسيطة لم تتيسر لها وسائل التدوين والتسجيل المتناسق والمتكامل مثلما قد يتيسر لغيرها من المشاهير.

ونخلص من هذا البحث القصير إلى أن خولة بنت الأزور تعد نموذجا إنسانيا رائعا يحتذى به في الدفاع عن النفس والوطن والعقيدة فرضت نفسها بقوة وبصلابة على كل شخص حضر صولاتها وجولاتها في ميادين الفروسية.

”من كتاب نساء فاضلات“

أخبار من ساحة الجهاد





مقتل 60 جنديا وإصابة70 وأسر 14 آخرين واغتنام 100 قطعة سلاح في ولاية بدخشان.

ضمن سلسلة عمليات استمرت لمطاردة جنود العدو في منطقة باشند بمديرية وردوج بولاية بدخشان، تم محاصرة (1300) من جنود وعناصر شرطة العدو، خلال المعركة الجديدة قتل 60 جنديا وأصيب 70 آخرين، حيث تم تسليم جثث 50 منهم إلى العدو عن طريق وجهاء المنطقة، كما سقطت جثث 10 جنود آخرين للعدو إلى النهر، حيث تم استخراجها من قبل المجاهدين، ولم يتم تسليمها حتى الآن.

خلال هذه العمليات البطولية، تمكن المجاهدون من أسر 14 جنديا أيضا، واغتنام 100 قطعة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة.

يضيف النبأ بأن المجاهدين يخوضون عمليات مطاردة واسعة ضد جنود العدو الذين هربوا إلى الجبال، ومع هذا سينتهي بشكل كامل وجود عناصر العدو في هذه المنطقة.

علما بأن جميع ادعاءات وزارة داخلية الإدارة العميلة حول شن عمليات استعادة المناطق وعمليات تصفية المجاهدين في مديرية وردوج فقط حملة اعلامية لا أكثر.



شكل التهديد الأمريكي بشن عمل عسكري في سوريا، هاجساً يومياً للسوريين، وتزيد حدة التصريحات المتصاعدة يومياً بهذا الخصوص من مخاوفهم التي وصلت إلى "أوجها" بحسب البعض، حتى انعكس ذلك على كافة نواحي الحياة، وخاصة سوق السلع وسعر الصرف، وقد شكل أيضاً سبباً جديداً لـ"النزوح خارج البلاد نحو الدول المجاورة".

بدأت التهديدات الأمريكية بشن عمل عسكري على سوريا، وبدأ السوريون بشكل مواز الاحتياط لها عبر عدة أمور طارئة وهامة، ما خلق أزمة في بعض النواحي، حيث كان أكثر المشاهد تأزماً، هو عودة "طوابير" الانتظار على نوافذ الأفران للحصول على الخبز، بالإضافة إلى مشهد جديد لم يعتد عليه أهالي دمشق سابقاً، وهو "الازدحام على الصيدليات للحصول على الأدوية"، بحسب مشاهدات لسيريانيوز في بعض صيدليات دمشق وحديث صيادلة.

عودة طوابير الخبز

وفي استطلاع قامت به "سيريانيوز" "لبعض المواطنين حول مخاوفهم وأهم المواد التي احتاطوا بها، وماهي الأزمات التي خلقها" شبح الضربة الأمريكية" كما وصفه البعض، قالوا إن "عدة مخاوف انتشرت بين الناس حول احتمال تقطع أوصال المدينة، وعدم قدرتهم الحصول على المواد الأساسية اللازمة بحدها الأدنى، وفي مقدمتها الخبز".

وبدأ مشهد "الطوابير" على الأفران يعود إلى الواجهة، متزامناً مع زيادة استغلال تجار الأزمات للوضع، حيث وصل سعر الربطة إلى 100" ليرة سورية" في السوق السوداء بحسب الشكاوي، إلا أن الخبز لم يكن المادة الوحيدة التي شهدت أزمة في ظل هذه التهديدات.

ازدحام على الصيدليات

وبمشهد جديد "لم يألفه السوريون" خلال الأزمة التي عاشوها منذ حوالي السنتين والنصف، برز إقبال شديد على شراء الأدوية للاحتياط بها، ما شكل ازدحاماً على بعضها، وعلى هذا ذكر أحدالصيادلة لسيريانيوز إنه "بعد التهديدات الأمريكية الأخيرة شهدنا اقبالاً غير مألوفاً للأدوية بدأت وتيرته بالإنخفاض



تدريجياً، بعد أن احتاطت الأغلبية باحتياجاتها". وتابع "لا مخاوف من حصول أزمة دوائية كون الطلب الشديد كان على مواد متوفرة، وهي أدوات الاسعاف الأولية، ومراهم الحروق وأدوية الالتهاب والكمامات والمسكنات" مشيراً إلى أن "أغلب الصيادلة أبدوا استعدادهم الاستمرار بالعمل مهما كانت الظروف ولا داعي للذعر".

ومن جهة أخرى، كانت هناك احتياطات أخرى قام بها السوريون، وبحسب بعض المحال التجارية التي استطلعتها سيريانيوز، فقد شهدت اقبالاً على شراء المعلبات بكثرة، بالإضافة إلى "بيدونات" المياه البلاستيكية تحسباً من انقطاع المياه، والشموع والكبريت و"الولاعات" تحسباً من انقطاعات طولية للتيار الكهربائي، بالإضافة إلى علب السجائر.

تطمينات رسمية

الإحتياطات السابقة التي قام بها المواطنون"لم تخلق نقصاً بالمواد" بحسب أصحاب المحال والصيادلة، ولم تهدد حتى بانقطاعها، إلا أن مخاوف البعض من حصول أزمة في الحصول على" الخبز"كمادة أساسية للعيش، دفعت الجهات الرسمية لطمأنت المواطنين بهذا الخصوص، وبحسب وزير التجارة الداخلية وحماية المستهلك فإن" القمح متوفر بنسبة جيدة في المستودعات وهناك كميات كبيرة أيضاً في محافظة الحسكة وهناك العديد من العقود قد أبرمت لتوريد الطحين، واليوم هناك مئات الشاحنات المحملة بالطحين تنتظر دورها بالتفريغ كي تعود لإحضار الكميات الأخرى، ونتتضمن هذه العقود كميات كبيرة وعلى المدى البعيد ونوعية طحين جيدة قادمة من دول صديقة".

وحول توفر الأدوية، أكدت مديرة الأمراض السارية والمعدية في "وزارة الصحة"، أن هناك وفرة في الأدوية ويوجد احتياطي استراتيجي، ويشمل ذلك أدوية الأمراض السارية والمزمنة والعادية ولا تعاني المناطق الصحية والمراكز التخصصية ومراكز الإيواء، من أي نقص".

"الشبح الأمريكي" يرفع الدولار مع الاسعار

ومن أولى الأمور التي تأزمت مع تصاعد حدة وتيرة التهديدات بالاعتداء الأمريكي على البلاد، كان سعر صرف الدولار الأمريكي، حيث شهد سعره في السوق السوداء ارتفاعاً تدريجياً يومياً منذ نهاية الأسبوع ما قبل الماضي، حتى سجل الأسبوع الماضي أكثر من 240 ليرة سورية للشراء، وسجلت بعض الأيام امتناعاً من قبل صرافي السوق السوداء عن البيع، والاكتفاء بالشراء من المواطنين بأسعار مرتفعة وصلت إلى 210-215.

ومازال سعر الدولار الأمريكي في السوق السوداء، يتأرجح بين الاستقرار والارتفاع، رغم تدخلات المصرف المركزي لمحاولة الحد من تفاقم سعره، وبرزت مخاوف أخيرة "من ارتفاعه بشكل جنوني ان احتدت التهديدات الأمريكية بشن عمل عسكري في سوريا أكثر من ذلك".

ارتفاع سعر صرف الدولار الأمريكي في السوق السوداء، أثر سلباً على أسعار السلع في السوق، ما أدى إلى ارتفاعها بعدما شهدت انخفاضاً طفيفاً في الفترة السابقة نتيجة استقرار سعر الصرف تحت 200 ليرة سورية، عدا عن استغلال بعض التجار "بحسب مواطنين" الإقبال الشديد على بعض السلع.

وبلغت نسبة ارتفاع الأسعار أكثر من 100%، على حين بلغت نسبة ارتفاع بعضها الأخر أكثر من 200%، وذلك من خلال مقارنة بسيطة بين أسعار السلع الرائجة حالياً، مع مثيلاتها التي رصدتها وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك مطلع العام الحالي، لبعض المواد الأساسية في الأسواق السورية.

مهددون بالنزوح

وشكل التهديد الأمريكي، سبباً جديداً وضغطاً آخراً دفع بعض الأسر مضطرة، للهرب إلى الدول المجاورة ومنها لبنان، وعلى الرغم من تأكيدات المعنين في لبنان بان أعداد الوافدين من سوريا إلى لبنان لم يشهد ارتفاعاً كثيفاً عن ماكان عليه سابقاً، وأنه منتظم منذ فترة، إلا أنه ووفقاً لهيئة الإذاعة البريطانية "BBC" فإن "الفارق منذ تصاعد الحديث عن ضربة عسكرية هو ان العدد الذي يعود يوميا الى سوريا قد تراجع في الايام القليلة الماضية".

ويسجل يومياً عبور ما بين عشرة الى خمسة عشر الف شخص بين نازح وعامل وعابر الى مطار بيروت من سوريا، وغالبا ما يسجل نفس العدد من السوريين الذين يعبرون عائدين إلى بلادهم.

وأكدت مصادر من الأمن العام اللبناني أنه "لم يتم تسجيل أي حركة عبور استثنائية بين سوريا ولبنان"، مشيراً إلى أن "احتمالات النزوح ممكنة في حال حصول الضربة الأمريكية على سوريا".

ويأتي ذلك في وقت يبدأ فيه الكونغرس الأميركي دراسة تفويض يسمح للرئيس الأميركي استخدام القوة العسكرية في سوريا، لنطاق ضيق ولمدة محدودة، ودون تدخل عسكري، وذلك إثر اتهام السلطات بالمسؤولية على "الهجوم الكيماوي" على ريف دمشق الشهر الماضي، والذي أودى بحياة المئات.

ونفت السلطات السورية، مرارا، مسؤوليتها عن استخدام الكيماوي في النزاع الدائر في البلاد، كما حملت مقاتلي المعارضة المسؤولية عن استخدام ذلك السلاح، مطالبة بتحقيق دولي في ذلك الشأن.

الإخوة والأخوات القراء الأعزاء

في حال رغبتكم في تقديم إي إقتراح للصحيفة الرجاء إرساله على

SahifatAlwaqi3@yahoo.com

#---Begin Al-Ekhlaas Network ASRAR El Moujahedeen V2.0 Public Key 2048 bit---
pyHAv2KZ9gRLgLtwb4spOh1XHDtvhRK/WuIenW13I/Pm5xv3Sk
S/Oq0YeGUefStL9fs6ub5anEIn7ye/WsLhXrFq+H4+0IWJj9qU
2JMghtyQtx42Hm5QfvY/ta/PFYLLXaVUUq/wuL8y7j3fTkrAgd
x0PLBGSTr5dxkhlfH2GAwog2UvbXOxuDRaALIRWACMAHa1DaT2
tM/fjXrMsxNfoYIZM1TxfbAagCY5AWhcD7uHT7/m3sdfZwcHR2
XGowODdiufiLYSN+WPY2fmzjcDHN0D4Qaht7j5xyLsR+ErZNCa
nwImz9+b609yRWC3uQWkvUfKxZh4WgwvR6Z98O34sv+Pgp1MVU
cUwRIAPS2pt1fMkfguT3TIun5a+EifDMURi9jVRVLqXfeKbJJB
DASQyedEVGGh+bA7vBSpZ2iiVwsbAJaQJ1reKyUNItRg+EbnKc
vhZrFThTgXCeol0vw7w8A2mipxlJH2WHX4BAbzH99rt2dHv1qz
ZeuKs36ngZR0PU/tyhUzKiGhzOWWmz54QleW+UuBeLM7CvrUjv
0OTFY3N0coBAN2pQuFPae0grHdbfmQtg==
#---End Al-Ekhlaas Network ASRAR El Moujahedeen V2.0 Public Key 2048 bit---

